

الإِسْلَامُ رُؤْيَا عَمِيَّةً لِرِسَالَةِ اللَّهِ لِلْبَشَرِيَّةِ

الفصلُ الخَامِسُ

الإنْسَانُ خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

هذا الفصل ذو صلة وثيقة بالفصل الرابع ، "الْخَلْقُ وَالتَّطَوُّرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ" ، الذي يشكل خلفية ضرورية له ، خاصة في ذكر القرآن الكريم لخلق الله ، سبحانه وتعالى ، للحياة على الأرض ، ولتطورها ، وتدخله عز وجل فيها ، لتحسين خلقه.

وهكذا ، فإن هذا الفصل هو استمرار لموضوع الخلق والتطور ، ولكن بتركيز على الإنسان ، الذي يشكل قمة مراحل الخلق الخمس

، ابتداءً ببيت الحياة والتسوية والاعتدال والتصوير ، ووصولاً إلى نفخ الروح فيه. فعندما رأى الله ، سبحانه وتعالى ، أنه قد علم الإنسان ما يكفي له للسيادة على الأرض ، قرر أن يجعله خليفة له فيها. فلما أخبر ملائكته المقربين بذلك ، فوجئوا لعلمهم بأن بعض البشر مفسدون وسفاكون للدماء. عندها أخبرهم العليم الخبير بأنه يعلم ما لا يعلمون (2: 30) ، أي أنه يعلم بأن هناك من البشر ما هم غير ذلك ، وبالتالي فهم أهل لثقتهم فيهم ليكونوا خلفاء له في أرضه. وللتدليل على ذلك ، اختار آدم ، كمثل للبشرية ، وأحضره أمام الملائكة ، ليساجلهم وليثبت لهم أهليته في ثقة الله به. وتلك القصة هي موضوع الفصل السادس ، "امْتِحَانُ آدَمَ أَمَامَ الْمَلَائِكَةِ ، وَالْخُرُوجُ مِنَ الْجَنَّةِ ."

والآيات التي لها علاقة بموضوعات الفصول 3 و4 و5 ، مثل آيات القرآن الكريم الأخرى ، مختصرة جداً ، وكل كلمة فيها لها معنى محدد في سياق ما ، ولكنها ربما تحتل معاني مختلفة في سياق آخر. ولذلك ، فإن التفسير الأفضل ينبغي ألا يقتصر على المعاني اللغوية للكلمة فقط ، مثلما كان الحال في تفسيرات المشاهير الثلاثة ، القرطبي والطبري وابن كثير ، وإنما ينبغي أن يشمل أيضاً على الحقائق العلمية ، خاصة تلك المتعلقة بعلمي الأحياء وتاريخ الإنسان (الأنثروبولوجيا) ، في هذه الحالة ، وهذا هو الأسلوب المتبع في هذا الكتاب ككل. [1]

مَعْنَى اسْتِخْلَافِ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ

وقد ذُكرت مشيئة الله ، سبحانه وتعالى ، لاستخلاف الإنسان في الأرض في الآية 30 من سورة البقرة (2) ، التي تقول:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (البقرة ، 2: 30).

وتمثل كلمة "خليفة" ، التي وردت في هذه الآية الكريمة ، نقطة البداية في هذا الفصل. وهي اسم مشتق من الفعل خَلَفَ ، أي أعقب أو جاء من بعد. وهي تكريم للإنسان من الخالق ، عز وجل ، يجعله مسؤولاً عن الأرض وعن إعمارها ، كما جاء في الآية 11: 61. والمعنى المباشر للكلمة في هذه الآية أن الله ، سبحانه وتعالى شاء أن يستخلف الإنسان في حكم الأرض ، مطبقاً لشريعته.

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (هود ، 11: 61).

وبعد وفاة الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، أطلق المسلمون اسم "خليفة" على أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، الذي "خلفه" كثاني حكام الدولة الإسلامية. ثم استمر المسلمون في استخدام نفس الكلمة في الإشارة إلى حكامهم حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، في بداية القرن الهجري الرابع عشر ، الموافق للقرن العشرين الميلادي ، عندما تمكنت الدول الإستعمارية الغربية من هزيمة الدولة العثمانية ، وهي آخر خلافة إسلامية ناجحة دامت لقرون عديدة.

وقد ذُكر هذا المعنى لكلمة "خليفة" في تفاسير كبار علماء المسلمين لهذه الآية الكريمة ، ولكنهم أضافوا معاني أخرى ، مثل أن الله ، سبحانه وتعالى ، شاء أن يخلف الناس بعضهم بعضاً ، قرناً من بعد قرن ، في حكم الأرض ، حتى يرثها الله وما عليها.

فقد فسر السيوطي (في الجلالين) كلمة "خليفة" على أنها تعني آدم ، الذي شاء له الله أن يخلفه في تنفيذ أحكامه في الأرض. وكذلك قال الطبري ، مشيراً لما رواه الصحابييان ، ابن مسعود وابن عباس ، رضي الله عنهما ، : "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةَ مَبِيِّ ، يَخْلُفُنِي فِي الْحُكْمِ بَيْنَ خَلْقِي. وَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ هُوَ آدَمُ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ بَيْنَ خَلْقِهِ." كما حذا القرطبي حذو الطبري قائلاً: "وَالْمَعْنَى بِالْخَلِيفَةِ هُنَا - فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ - آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي إِمْنَاءِ أَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ إِلَى الْأَرْضِ ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي دَرٍّ ،

120 الإسلام: رُؤْيَةٌ عِلْمِيَّةٌ لِرِسَالَةِ اللَّهِ لِلْبَشَرِيَّةِ ، تأليف حسن علي النجار

قَالَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ كَانَ مُرْسَلًا ؟ قَالَ : "نَعَمْ." ولم يخرج ابن كثير عن ذلك التفسير.

الاستخلاف تكريمٌ للبشر ، ولكنه مسؤوليةٌ أيضاً

تمثل مشيئة الله ، سبحانه وتعالى ، باستخلاف البشر في الأرض تكريماً عظيماً لهم ، كما جاء ذكره في الآيتين 17: 62 و 17: 70.

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتِ عَلَيَّ لَبْنٍ أَخَّرْتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكِنَّ ذُرِّيَّتَهُ ۖ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء ، 17: 62).

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (الإسراء ، 17: 70).

فبالرغم من أن الاستخلاف يمثل تكريماً عظيماً للإنسان ، إلا إنه جاء مقترناً مع مسؤولية عظيمة أيضاً. وقد أثبت كثير من الناس أنهم عند حسن ظن ربهم بهم ، لقرون عديدة ، وفي مراحل التاريخ المختلفة. ومع ذلك ، فإن كثيراً من البشر أيضاً قد فشلوا في تحمل تلك المسؤولية في مناسبات وأوقات عديدة ، وذلك بظلمهم لأنفسهم ولغيرهم ، وبإضرارهم بالأرض التي أوتمنوا للمحافظة عليها. فعوامل النجاح التي يمتلكها الإنسان يمكن استخدامها للشر ، بدلاً من الخير ، وذلك باتباع الشيطان ، الذي لا يريد للإنسان خيراً.

وتخبرنا الآية الكريمة 72 من سورة الأحزاب (33) بأن أمانة الاستخلاف تمثل حملاً ثقيلاً ، لا تستطيع حتى السماوات والأرض والجبال أن تحمله ، على الرغم من قوتها ، ولكن الإنسان قبل بها ، فظلم نفسه بالمعصية والخطيئة وبجهله بعواقب ذلك.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۗ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (الأحزاب ، 33: 72).

وهكذا ، فإن ثقة الله ، عز وجل ، في الإنسان ، كما تبدت في مشيئته يجعله خليفة له في الأرض ، كانت مبنية على علمه بأن الإنسان أهلاً لحمل الأمانة ، وحكم الأرض طبقاً لشرعية خالقه ، على الرغم من مشقتها عليه. فيخبرنا سبحانه وتعالى عن بعض خصائص الإنسان التي أهلتها لحمل الأمانة ، مثل قدرته على التعلم ، وحبه للعمارة ، وتمتعه بخاصية الاختيار.

مَقْدِرَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى التَّعَلُّمِ

شاء الله ، سبحانه وتعالى ، أن يختار الأرض من بين أرضين ملكوته الواسع لتكون موطناً لخلق الإنسان عليها أولاً ، ولخلافته فيها بعد ذلك. فالأرض غنية بالطعام والموارد الطبيعية ، وهي محمية من المؤثرات الكونية الضارة من خلال إحاطتها بطبقات جوية عديدة. كما أن المسافة بين الأرض والشمس مثالية لازدهار الحياة وتقديمها في معظم أقاليم الأرض المناخية ، فأدى ذلك كله إلى توفر البيئة المناسبة للإنسان لكي يثبت مقدرته على التعلم ، وعلى مراكمة المعرفة ، وكيفية استخدامها والاستفادة منها ، وعلى سن الأحكام والقوانين بناء عليها.

ولأنه الرحمن الرحيم ، فإن الخالق ، عز وجل ، لم يترك خلقه وحدهم يعانون في وحدتهم على هذا الكوكب. فكما تدخل من أن إلى آخر لتحسين خلقه في مراحل الخلق المختلفة ، فإنه تدخل أيضاً بإرشادهم إلى كيفية اكتساب المعرفة واستعمالها لفائدتهم. ومثال ذلك في القرآن الكريم أمره لهم بالقراءة ، كما جاء في أول كلمة نطقها الروح جبريل ، عليه السلام ، مخاطباً خاتم رسل الله للبشرية ، عليه الصلاة والسلام. وقد كررها عليه ثلاث مرات ، تأكيداً لأمر الله للبشر ، بالقراءة كوسيلة لاكتساب المعرفة. وأصبح ذلك الأمر قرآناً مقررأ في الآيات الخمس الأولى من سورة العلق:

**اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اِقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾**
(العلق ، 96 : 1-5).

وهناك العديد من آيات القرآن الكريم التي تحث على العلم واكتساب المعرفة. وعندما نتأمل معاني بعضها ، مثل 55: 1-4 ، 2: 239 ، و 2: 282 ، فإننا نجد أن الله ، سبحانه وتعالى ، يخبرنا بأنه عَلم الإنسان قراءة القرآن وفهم معانيه ، كما علمه ما لم يكن يعلم. وتخبرنا الآية 53: 5 بان جبريل ، عليه السلام كان ، معلماً لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم. [2]

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾
(الرحمن ، 55: 1-4).

فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعَلَّمُونَ (البقرة ، 2: 239).

وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلمَهُ اللَّهُ (البقرة ، 2: 282).

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ (النجم ، 53: 4-5).

مَقْدِرَةُ الْإِنْسَانِ وَحِبِّهِ لِلْبِنَاءِ وَالْعِمَارَةِ

وتكريم الله ، سبحانه وتعالى ، للإنسان بجعله خليفته في أرضه ، كان أيضاً لعلمه بمقدرة الإنسان وحبه للبناء وعمارة الأرض. وكان يعلم بقدرة البشر أيضاً على الابتكار والتحسين المستمر لظروفهم ، وصولاً إلى مرحلة الحضارة ، كما عبر عن ذلك ابنُ خلدون ، مستعملاً التعبير القرآني "العمارة" ، والتي تعني البناء والحضارة. [3]

والآية 30: 9 تدعو الإنسان للتفتيح عن آثار الحضارات السابقة ، للاستفادة مما حدث لها. وبينما يعتبر ذلك أمراً للبشر لدراسة المواقع التاريخية وما قبل التاريخية لتلك الحضارات ، فإنه أيضاً إشارة مباشرة لمهارة الإنسان وحبه للبناء والعمارة على هذه الأرض ، كما نذكر الآية الكريمة:

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا (الروم ، 30 :9).

وتشير الآية 11: 61 إلى خلق الإنسان من الأرض ثم استعمارها فيها ، أي في بنائها وتعميرها. أما الآية 9: 18 ، فإنها تشير إلى عمارة المساجد ، بناءً وعبادةً ، كصفة للمؤمنين:

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَالُوا يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (هود ، 11 :61).

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ (التوبة ، 9 :18).

تَمَتُّعُ الْإِنْسَانِ بِحُرِّيَّةِ الْاِخْتِيَارِ

ولا شك أن قدرة الإنسان ومحيطه للبناء والتعمير جاءت نتيجة لقدرة على التعلم ، وعلى تمتعه بحرية الاختيار. فقد تفاعلت الصفات الثلاث لتنتج الظاهرة الإنسانية المدهشة ، التي أسعدت الخالق ، عز وجل ، فشاء أن يُكْرَمَ الإنسانَ بالخلافة في الأرض ، على الرغم من استغراب الملائكة ، لأنه يعلم ما لا يعلمون.

فقد وهب الله ، سبحانه وتعالى ، البشر حرية الاختيار، تمييزاً لهم عن ملائكته الكرام ، حتى يرى شكرهم لنعمه عليهم ، وحتى يعلم الذين يكفرون بتلك النعم. فقد أعطى النفس الإنسانية حرية الاختيار بين النجدين ، أي بين طريقي الخير والشر ، مما ينتج عنه من فجور أو تقوى ، كما تذكر لنا الآيات الكريمة 76 :3 ، 89 :8-10 ، 91 :7-8:

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (الإنسان ، 76 :3).

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ (البلد ، 89 :8-10).

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ (الشمس ، 91: 8-7). [4]

فالله ، سبحانه وتعالى ، أراد أن يرى خلقه يطيعونه وينفذون أوامره باختيارهم ، وبمحض إرادتهم ، لعلمه بالخير الكامن فيهم ، الأمر الذي كان يجهله الملائكة. ولذلك ، فعندما أخبرهم بأنه سيجعل الإنسان خليفة له في أرضه ، فإنهم استغربوا لعلمهم بفساد الإنسان وبسفكه للدماء. ولكن الله أجابهم بأنه يعلم ما لا يعلمون ، كما عبرت عنه الآية الكريمة 2: 30. فقد كان يعلم ، سبحانه وتعالى ، بأن بعض أفراد الجنس البشري ربما يختارون الفساد وسفك الدماء ، كما كان يعلم بأن آخرين منهم سيختارون طاعة أوامره ، بمحض إرادتهم ، فيعملون ما هو صالح لهم ولغيرهم وللأرض عموماً. كيف لا وهو الذي نفخ فيهم من روحه ، واهباً إياهم القدرة على الاختيار والفترة السوية ، كما جاء في الآية الكريمة 15: 29.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (الحجر ، 15: 29).

مَسْئُولِيَّاتِ الْإِنْسَانِ كَخَلِيفَةِ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ

كما يتبين لنا من الآيات الكريمة ، فإن خلافة البشر لله على الأرض ترتبط بمسؤوليات ثقيلة تقع على عاتقهم ، ولكنها في حدود استطاعتهم. فإذا ما قاموا بها ، فلهم الجزاء الأوفى من خالقهم ، عز وجل ، في الدنيا والآخرة. وإلاً ، فإنه يستبدلهم بغيرهم في الحياة الدنيا ، ويعاقبهم على معاصيهم في الآخرة.

فأولاً ، يخبرنا الله ، سبحانه وتعالى ، أن استخلاقه للبشر على الأرض ما هو إلا امتحان لهم ، ليرى هل يشكرونه على نعمه التي أسبغها عليهم ، أم يجحدون ذلك ، كما ذكر لنا في الآيات الكريمة 6: 165 و 10: 14 و 7: 129.

ثانياً ، **الإيمان بالله ورسوله** من المسؤوليات الهامة للاستخلاف ، وكذلك **الإنفاق** في الأوجه التي حددها الله ، والقيام بصالح الأعمال ، كما جاء في الآيات الكريمة 57: 7 و 24: 55 و 57: 7 .

ثالثاً ، اعتراف الإنسان **بفضل الله عليه ، فيشكره** على الصحة والقوة والاستخلاف في الأرض ، كما جاء في الآية 69: 7 .

رابعاً ، من أهم مستلزمات الاستخلاف على الإنسان الحكم **بالحق والعدل** . ولذلك ، أُنذر سبحانه وتعالى الكافرين والظالمين والذين لا ينفقون مما آتاهم بأنه سيستبدلهم بغيرهم ، ممن هم أفضل منهم ، في هذه الدنيا ، كما جاء في الآيتين الكريمتين 6: 133 و 11: 57 .

خامساً ، بالإضافة إلى الإيمان بالله ، وذكره ، والدعاء إليه عند الحاجة ، وعمل الصالحات ، فإن استخلاف الله للإنسان في الأرض يوجب عليه القيام بالعديد من المسؤوليات ، مثل عدم الإفساد في الأرض ، الحكم بالعدل بين الناس ، وذلك بطاعة أوامر الله ، والاستعانة بالصبر ، والتقوى ، كما جاء في الآيات الكريمة 6: 133 و 7: 74 و 7: 128 و 10: 73 و 11: 57 ، و 27: 62 و 35: 39 و 38: 26 و 39: 27 . [5]

الْخُلَاصَةُ

بوصوله إلى المرحلة الخامسة من الخلق ، أظهر الإنسان مقدرته على التعلم والعمارة والاختيار الحر . ونتيجة لذلك ، شاء الخالق ، عز وجل ، أن يمنحه الثقة باستخلافه في الأرض . لكن هذا التكريم جاء مرتبطاً بمسؤوليات كبيرة ، ذكرتها آيات القرآن الكريم . وقد وعد الله ، سبحانه وتعالى ، الإنسان باستمرار خلافته في الأرض طالما كان طائعاً لأوامره ومجتنباً لنواهيه . وإلا فإنه قد أُنذره باستبداله بأخرين في هذه الدنيا ، وبالعقاب في الآخرة .

=====

مُلاحَظَاتٌ اسْتِطْرَادِيَّةٌ وَتَوْثِيقِيَّةٌ

[1] على الرغم من أن المؤلف قد اطلع على ترجمات عديدة لمعاني القرآن الكريم ، واستعان بها ، خاصة صحيح انترناشيونال ويوسف علي ، والمنشورة على موقع شبكة تنزيل (www.tanzil.net) ، إلا إنه مسؤولٌ وحده عن ترجمة معاني الآيات الكريمة التي ذكرت في هذا الفصل ، وفي الكتاب ككل.

أما الأعمال الكاملة للمفسرين الثلاثة الكبار، فهي منشورة في كتب ورقية ، وأيضاً على الشبكة العالمية ، في مواقع عديدة ، مثل:

و <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/>
<http://waqfeya.com/book.php?bid=1696>

كما أن كتب تفاسيرهم للقرآن الكريم قد تم ذكرها تفصيلاً في الملاحظة التوثيقية السادسة من الفصل الأول.

[2] يورد محمد فؤاد عبد الباقي في "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" (القاهرة ، دار الفكر ، 1406 هجرية ، 1986 ميلادية) الآيات التي تحت على العلم واكتساب المعرفة وفضل الله ، سبحانه وتعالى ، في ذلك ، في الصفحات 469-480. وعلى الأخص ، فإنه يذكر 26 من تلك الآيات في الصفحات 474-475.

أما وسيلة البحث في ألفاظ القرآن الكريم ، المتوفرة في موقع شبكة تنزيل (www.tanzil.net) ، فإنها تورد 17 آية كريمة تحتوي على كلمات مشتقة من الفعل "عَلَّمَ" ، والتي تشير إلى تعليم الله ، سبحانه وتعالى للإنسان. وهذه الآيات هي: 2: 31 ، 2: 239 ، 2: 251 ، 2: 282 ، 5: 4 ، 5: 5 ، 5: 110 ، 12: 37 ، 12: 68 ، 12: 101 ، 21: 80 ، 36: 39 ، 53: 5 ، 55: 2 ، 55: 4 و 96: 5.

[3] عبد الرحمن بن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع. وقد ولد في تونس في سنة 732 هجرية ، 1332 ميلادية ، ولكنه عاش في الأندلس وشمال أفريقيا ومصر أيضاً ، حيث مات في القاهرة في سنة 808 هجرية ، 1406 ميلادية. ومن أشهر أعماله ، كتابه "المقدمة" ، والذي أصبح يعرف بمقدمته لعلم الاجتماع. وقد كتبه

قبل وجود مؤسس علم الاجتماع الحديث في أوروبا ، الفرنسي أوغست كونت ، بخمسة قرون.

ولم يكن ابن خلدون وحده الذي قرن العمارة بالحضارة. فقد اعترف باحثو علم تاريخ الإنسان (الأنثروبولوجيا) المعاصرين بهذه الحقيقة ، فربطوا بداية الحضارة الإنسانية بالزراعة الكثيفة ، والتي ارتبطت بدورها ببناء خزانات المياه والسدود وشق القنوات وبناء المعابد والقصور والطرق والتماثيل والآثار الضخمة. ولم تكن تلك العمارة ممكنة بدون كتابة اللغات وتطور العلوم ، ومن ثم قيام الحضارة.

[4] لمزيد من المعلومات حول "النفس" الإنسانية ، أنظر الفصل التاسع: "الْعَقْلُ وَالنَّفْسُ وَالرُّوحُ وَالسَّعَادَةُ ، مِنْ مَنْظُورٍ إِسْلَامِيٍّ."

[5] الآيات الكريمة التي تمت الإشارة إليها ، والتي تذكر المسؤوليات الثقيلة الملقاة على عاتق الإنسان ، كخليفة لله على الأرض ، هي كما يلي:

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (الأنعام ، 6: 165).

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (يونس ، 10: 14).

قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدَّتْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (الأعراف ، 7: 129).

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ (الحديد ، 57: 7).

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (النور ، 24: 55).

128 الإسلام: رُؤْيَةٌ عِلْمِيَّةٌ لِرِسَالَةِ اللَّهِ لِلْبَشَرِيَّةِ ، تَأَلِيفُ حَسَنِ عَلِيِّ النَّجَارِ

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (الحديد ، 57: 7).

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الأعراف ، 7: 69).

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (ص ، 38: 26).

أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْثِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ (النمل ، 27: 62).

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۗ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (الأعراف ، 7: 128).

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا فُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (الأعراف ، 7: 74).

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۗ (فاطر ، 35: 39).

فَكَذَّبُوهُ فَتَبَّأَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا (يونس ، 10: 73).

وَرَبُّكَ الْعَنِّي ذُو الرَّحْمَةِ ۖ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِمَّا يَشَاءُ ۖ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (الأنعام ، 6: 133).

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۖ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا (هود ، 11: 57).